أدب الرِّحْلات عند العرب كتاب (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) للأديب مهدي جاسم مثالاً

م.د زينب عبد الأمير متعب

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

zainab.abdulameer@uokerbala.edu.iq

أدب الرِّحْلات عند العرب كتاب (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) للأديب مهدي جاسم مثالاً

م.د زينب عبد الأمير متعب
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
zainab.abdulameer@uokerbala.edu.iq

ملخص

يعد أدب الرحلات من فنون الأدب المهمة؛ إذ يسهم هذا الأدب في تعريف الشعوب بعضها ببعض، والإفادة من الثقافات المختلفة لاسيما الادب، ويعد هذا الفن مرجعاً لمعرفة حياة المجتمعات وامتداداً للرحلات قديماً التي عرفت منذ عصر ما قبل الإسلام، وفي كتاب (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) قدّم الأديب مهدي جاسم وصفاً لرحلته مع المجتمع الإيراني، وسعى البحث الى دراسة هذا الادب في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وضمّ التمهيد مطلبين في التعريف بأدب الرحلات وحياة الأديب مهدي جاسم ويدرس المبحث الأول: الجوانب الموضوعية والمبحث الثاني: عني بالأساليب الفنية وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج أهمها: أن ادب الرحلات وثيقة أدبية مهمة تعرّف بين الثقافات المختلفة، وتمكن الأديب في رحلته أن يصوّر مشاهداته بأسلوب فني أجاد فيه باختيار الصور والأساليب المعبّرة.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلات، الأديب مهدي جاسم، مع الشعب الإيراني.

Travel Literature among the Arabs
The Book "With the Iranian People: A Study and Analysis"

by the writer Mahdi Jasim as a Case Study

Asst. Lecturer Zainab Abdul-Ameer Mutab

University of Karbala College of Education for Human Sciences /

zainab.abdulameer@uokerbala.edu.iq

Abstract

Travel in Arabic Literature Abook (A Study and Analysis with the Iranian People), by the writer Mahdi Jassim as a model

M.D. Zainab Abdul Amir Muteb
College of Education for Human Sciences / University of Karbala

Travel literature is an important literary genre that contributes to introducing people to one another and benefiting from different cultures, especially literature. This genre serves as a source for understanding the lives of societies and is an extension of the ancient journeys that were known since pre-Islamic times. In his book, "With the Iranian People: A Study and Analysis," the writer Mahdi Jassim presents a description of his journey with Iranian society. This research aims to study this genre through an introduction, a preface, two main sections, and a conclusion. The preface includes two sections: one defining travel literature and the other the life of the writer Mahdi Jassim. The first section examines thematic aspects, while the second focuses on artistic techniques. The study reached several conclusions, the most important of which is that travel literature is an important literary document that fosters understanding between different cultures. The writer presented his travels in an artistic style, skillfully selecting expressive imagery and techniques..

Keywords: Travel literature, the writer Mahdi Jasem, with the Iranian people

المقدمة

أدب الرحلات من أهم الفنون الأدبية القديمة والحديثة، التي أدت دورًا مهما في تعريف الشعوب بعضها ببعض، الا أن هذا النوع من الأدب لم ينل العناية كما هو شان الشعر والقصة والرواية، وهناك بعض من الكتّاب ومنهم الكاتب الاديب السيد مهدي جاسم الشماسي عُني بهذا النوع من الادب وكتب فيه كتابا سماه (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) الذي طبع في عام ١٩٥٦، ويسعى البحث الى قراءة في هذا الكتاب وتحليل موضوعاته وأساليبه الفنية وقسّم إلى تمهيد ومبحثين: التمهيد تناول التعريف بأدب الرحلات و ودوافعه، وشيء من حياة الأديب مهدي جاسم، ثم يأتي المبحث الاول بعده؛ لدراسة الموضوعات التي تطرق اليها الاستاذ الاديب مهدي في كتابه (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) والمبحث الثاني فتناول الدراسة الفنية للكتاب، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

التمهيد: أدب الرحلات: مفهومه وأهميته:

عرف أدب الرحلات بين الباحثين بتعريفات متقاربة، ومن هذه التعريفات، هو» الادب الذي يضمّنه الكاتب الرحالة انطباعاته، ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي يزورها، وتشمل على وصف الطبيعة الجغرافية، كما تشمل على وصف عادات الناس وتقاليدهم وأنماط حياتهم وتفكيرهم، ونبذًا عن تاريخهم البعيد والقريب، مما يجعلها في بعض الأحيان مرجعًا وثائقيًا تاريخيًا هامًا، وموضوعًا للدراسات المقارنة في مختلف مجالات الأدب، والفكر والحياة، وقد عرف العرب، منذ زمن بعيد، أدب الرحلات، وتركوا فيه آثارًا خالدة، من أشهرها رحلة ابن بطوطة» (١٣٠٤ - ١٣٧٨) (يعقوب، وعاصي، المعجم المفصل في اللغة والادب، ١٩٨٧،: ٦٠ -٦١)

فأدب الرحلة» ليس بحثًا في التاريخ، ولا وصفًا جغرافيًا، كما أنه ليس قصة، أو رواية، أو قصيدة، وإنما هو هذا وذاك، فهو يكتسب خصائصه المتميزة وطعمه العذب، وقدرته في الوقت نفسه على تلبية مطالب المؤرخين والجغرافيين والأدباء الذين يطمحون لمعاينة الوقائع» (خليل، من أدب الرحلات، ٢٠٠٥:٦).

وتتعدد الدوافع التي تجعل الإنسان يسعى للرحلة ومنها: دوافع دينية، لاسيما فريضة الحج، ودوافع علمية أو تعليمية لطلب العلم، ودوافع سياسية كالوفود لمناقشة شئون الحرب والسلم، وتبادل الرأي لفتح أو غزو، ودوافع سياحية، وثقافية، واقتصادية؛ للعمل والتبادل التجاري، ودوافع صحية كالسفر للعلاج ودوافع اخرى كالسعي على العيش، والهروب من ضيق العيش أو من عقوبة (قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ٢٠٠٢،١٩-٢٠)

وإنّ الإنسان خلق ساعيًا وراء رزقه فكان يتنقل وراء الماء والعشب والصيد، والعرب ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة، ويسافرون لها خارج أوطانهم؛ برًا وبحرًا، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب افريقيا، ومع الهند، وما وراءها، ويروى أن الاسكندر الأكبر أراد غزو الجزيرة العربية، وأراد أن يسيطر على موانئها حتى يقطع صلاتها بأسواقها في أفريقيا والهند (علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٩٣، ج ٧، ٢٩٠) فهذا يدل على سعة الحركة التجارية وسيطرة العرب آنذاك وإمكانيتهم على السفر والرحلة.

وعندما ظهر الإسلام كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى؛ فكان هو كلمة الله إلى البشر، وفي مواضع عدة يدعو إلى السفر والترحال، ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة: قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }(سورة الانعام آية ١١)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (سورة الملك آية ١٥)

{وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} (سورة إبراهيم آية ٣٢).

فالقرآن الكريم يدعو الناس إلى السفر، على الرغم مما فيه من صعوبات، وترك للأوطان والأهل والاصدقاء، إلا أنهم يحصلون منه على عدة منافع مادية واجتماعية وتعليمية، وكانت تلك الدعوات في سبيل الرزق ولنشر الدعوة الاسلامية، فكان المسلمون يجوبون البحار والصحاري في السفر والترحال في بقاع الأرض المختلفة.

ثانياً: الأديب مهدي جاسم الشّماسي (١٣٣٩ ــ ١٤٠٠ هـ / ١٩٢٠ ــ ١٩٧٩ م)

الاديب « مهدي بن جاسم بن محمد الشماسي البصري. أديب، شاعر. ولد في كربلاء ــ العراق ونشأ بها على والده الخطيب المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ والذي نزح إليها من البصرة »

«دخل المدارس الرسمية وتخرج في دار المعلمين ببغداد وعيّن سنة ١٣٧٥ هـ مديراً لمدرسة الحسين الابتدائية بكربلاء، نظم الشعر وأجاد فيه ونشر أكثره في الصحف وكان كاتباً قصصياً وله جولات أدبية في أندية كربلاء وغيرها، انتقل إلى بغداد وسكنها إلى وفاته، نشرت له قصائد باسم مستعار هو ((الشاعر المجهول)) ويتقن اللغة الفارسية «((الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٧٧:٦:٢٠٠٣،٢٠٠٢.)

مؤلفاته:» ((الحمأ المسنون)) ملحمة شعرية ط ١٩٥٢. و((العمة لؤلؤة)) مجموعة مقالات ط ١٩٥٥. و((مع الشعب الإيراني)) دراسة وتحليل، فضلاً عن ترجمة رباعيات عمر الخيام ـ ١٩٦٨ م «. (الجبوري، ٢٠٠٣، ٢٧٧::٦)

وعرّب «((رباعيات نخعي)) و ((أفيون وجبال وفاكهة)) ديوان شعره ـ ط ١٩٥٤. وترجمة ((رباعيات الخيام ــ ط ١٩٦٨)) و ((قلوب فارسية)) و ((حدث في الشارع)) ديوان شعره « (-الجبوري، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٣،٢٠٠٢: ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، (عرف مواظباً خلال مسيرة حياته؛ على تنوير فكره للاطلاع والدراسة، وقد مكّنه حبه للشعر وحفظه للكثير

من النصوص على أن يجيد في شعره، ويبرز بين صفوف شعراء زمانه ويتقدمهم بالصفوف الأمامية، وامتاز شعره بوضوح العبارة ولطافة الخيال وسهولة الالفاظ ورقة المعاني ومكنته سعة ثقافته عبر اتقانه اللغتين، العربية والفارسية أن ينظم قسماً من أشعاره بالفارسية) (الكرباسي، البيوتات الأدبية في كربلاء، ٢٠١٥:٣٣٤ -٣٣٥)

ومن مزايا أسلوبه (البعد عن الحذلقة، والغموض، وتفضيلهُ الوصف بما هو قريب للقارئ؛ كيما يتسنى للمتتبع أن يفهم علاقات الوقائع المشتبكة والحوادث المتنامية ــ فضلاً عن الطرفة الهادفة). (الحلّي، الادب العربي في كربلاء اتجاهاته وخصائصه الفنية من إعلان الدستور العثماني الى ثورة تموز ٢٣٩:٢٠١٧:١٩٥٨).

توفاه الله ببغداد ونقل إلى النجف ودفن به عام ١٩٧٩.) (الجبوري معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٣،٢٠٠٢: ٦: ٢٧٧-٢٧٨).

المبحث الاول

الدراسة الموضوعية

تنوعت الموضوعات التي تناولها الشماسي في كتابه «مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل (دار المعرفة بغداد كانون الثاني ١٩٥٦) عن المجتمع الإيراني، وهذا الكتاب يتألف من خمس رسائل جمعها في سفره الى إيران (بضع عشرة مرة) ٤)، وأصبح كأنه منهم في « المظهر والكلام ولهجة الحديث « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٧)

وفي هذا الكتاب صوّر حياة الإيرانيين أدق تصوير، إذ تعرّف الأديب على مختلف طبقات المجتمع الإيراني فهذه الرسائل تعد من أدب الرحلات، فهي ضمت مختلف جوانب الحياة في المجتمع الإيراني ولم تكن على الأمور الظاهرة وإنما تغلغل البحث في الأعماق والاستشراف بالمستقبل أيضا) (الحلي، الادب العربي في كربلاء اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ٢٠١٧: ٢٤٠)

وكان وصفه للمجتمع الإيراني وصفا دقيقا دون مبالغة أو ميل لفئة دون غيرها، فنجده يذكر المحاسن والمساوئ على حد سواء كما شاهد ذلك وسمعه، بذلك في قوله « فهي أقرب الى ان تدخل السرور الى القلب في ذات الوقت الذي تحمل في ثناياها صدقا وصراحة وعلماً مستساغاً... « (جاسم مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٣)

فصوّر مختلف جوانب الحياة في إيران، كما صوّر واقع الصحافة والتعليم والاقتصاد والصحة وغيرها، فاستطاع كاتبنا الأديب المرحوم مهدي جاسم الشماسي أن ينقلها بأسلوب أدبي معبّر ومؤثر.

أولًا: الحياة الاجتماعية: ذكر الكاتب مكونات المجتمع الإيراني «فكان العرب يسكنون في الأهواز وعبادان والحويزة، والأكراد في سنندج وكرمنشاه، والأتراك في رضائية وتبريز وأذربيجان، والبربر في بيرجند بلد الزعفران وزاهدان والمغول يصفهم بالبدو ويسكنون في القشقائيين والفارسي الأصيل يسكن شيراز وبختيار، واللغة فهم يتكلمون العربية والكردية والتركية والفارسية، فاللغة الفارسية يتكلمونها بلهجات مختلفة تكاد تكون كل واحدة منها لغة خاصة، والأديان عندهم الإسلام والمسيحية واليهودية والزردشتية « (جاسم مع الشعب الإيراني،١٩٥٦: ٩)

طبقات المجتمع الإيراني:

استطاع الشماسي أن يلم بجوانب الحياة الاجتماعية للشعب الإيراني، ومن ذلك صفات كل طبقة بالنسبة لمحل سكناها، فأهل قم ومشهد متدينون ويتسمون آنذاك بالتزمت والرجعية، واهل اصفهان عرفوا بالخلق الكريم، وسكان إقليم مازندران وكيلان وتبريز وهم أهل الشمال، عرفوا بترفعهم، وحياتهم ذات المستوى العالي، وذوقهم وكرمهم واكثرهم اتراك.(جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٦)

وفي الجنوب اقليم خوزستان يقول عنهم: « ووقفت وجها لوجه امام البساطة والرقة والكرم والخلق الساذج والجهل المطبق ايضا » (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦: ٦) أما طبقات المجتمع الإيراني فهي يمثلها» التاجر: الذي همه الشهرة والكسب والربح، والمتصوف الزاهد: الذي لا يملك في حيلته غير كشكوله وعصاه والزعيم الخفي الغامض «.(جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦ ٥-٦)

العادات والتقاليد الاجتماعية:

تسود المجتمع الإيراني عادات وتقاليد (تشريفات) يتمسكون بها على مختلف طبقاتهم في الزواج والولادة والحزن والفرح واستقبال الضيف والجلوس الى مائدة الطعام وغيرها، وتمكن الكاتب من تصويرها ووصفها، نذكر منها: « للولادة تشريفات الهدية ووليمة التسمي، واسم الانثى (فاطمة) والذكر (علي) للأيام السبعة الاولى ثم يتبدل بعدئذ تبعا لمقتضى الحال ورغبة الزوجين « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٣٩)

الصحافة والتعليم:

تمثل الصحافة الإيرانية طليعة الصحافة الشرقية ؛ لما في مواضيعها من جرأة إذ تطرح موضوعات جريئة؛ السبب يرجعه الكاتب الى برود الدم الإيراني .

وعندهم الاذاعة اللاسلكية فيها أقرب الى منبر خاص ٩٥٪ من برامجها والمعلم يعد محليًا للمدرسة الابتدائية ويعد في الكليات للمدرسة الاعدادية، والجامعة في طهران فيها: كلية الحقوق والآداب والطب والصيدلة والهندسة والزراعة وهي مستقلة بذاتها وهي أقرب الى الجامعات الغربية.

وحركة الترجمة نشطة وعن الفرنسية بالدرجة الأولى تليها الإنكليزية فمنها وأهمها ترجمة ادب القصة والشعر.

والأدب الإيراني امتاز بالرمزية، والمكتبات العامة والخاصة عامرة بكثير من المخطوطات الاسلامية القديمة: منها مكتبة مجلس الامة في طهران، ومكتبة الرضا في مشهد.

والمسرح في طهران أربعة مسارح والنسبة الكبيرة من الإيرانيين يعيشون في أمية وجهل، ويرجع الجهل في إيران إلى عقائد الدروشة والخرافة السائدة. (جاسم، مع الشعب الإيراني،٢٣،٢١،٢٠:١٩٥٦)

الاقتصاد والصحة:

يذكر لنا الكاتب وصفا للجوانب الاقتصادية والجغرافية؛ فتنتشر أشجار الكمثرى والجوز والسنديان والفستق في (مازندران وتبريز وخراسان) والتمر والليمون في المناطق الحارة في (كرمان وخوزستان وفارس).

وفي الزراعة يعتمدون الطرق البسيطة والآلات اليدوية، والري عن طريق السيح والصناعة يدوية سوى بضعة معامل حكومية بعضها وبعض يعود الى شركات مساهمة، وأخرى فردية وأكثرها رؤوس أموال أجنبية منها: معامل نسيج الاقمشة القطنية والصوفية.

والتفاوت الكبير في الدخل بين طبقات المجتمع؛ فالتجار ومنتسبو القوات المسلحة لهم حصة الاسد في موازنة الدولة، والبحار يعيش على وجبة واحدة من السمك المتعفن والواقع الصحي والخدمات الصحية متردية حتى انتشرت الامراض منها موجة التيفو ١٩٥٢ والطاعون ١٩٥٣ والجدري والسل.(جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٤١)

المبحث الثاني

الدراسة الفنية

اعتنى الاديب بكتابة هذه الرسائل فقسّمها على مقدمة وموضوع وخاتمة، وكل رسالة تحمل عنوانا، وأحسن اختيار تلك العنوانات؛ لأهميتها؛ لأن العنوان «هو أول ما يتلقاه القارئ، وجاء ملائما للمضمون وهذا وعي منه على أهمية العنوان؛ لأنه علامة لغوية تعلو النص وتغري القارئ فلولا العناوين لظلت كثير من الكتب مكدسة في رفوف المكتبات فكم كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه وانتشاره « (رحيم ، العنوان في النص الإبداعي أهميته وانواعه، ٢٠٠٨: ١١): فجاءت على النحو الآتي: (توطئة،، الحكم والعدل، المدنية الإيرانية، الخلق الإيراني، ومن ثم يحسن التخلص الى الموضوع فاستعمل اساليب مختلفة للانتقال الى الموضوع الاساس فمرة استعمل اسلوب التضمين، والتضمين هو: أن يضمّن الأديب كلامه كلاما آخر لغيره؛ قصد الاستعانة لتأكيد المعنى المقصود (ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح كامل محمد عويضة، ١٩٩٨،٢: ٢٨٩) ففي الرسالة الثانية في الحكم والعدل يأتي الكاتب بمثل عن مساوئ الاسراع في اصدار الحكم، وتجنب ذلك، يقول: «هناك أسطورة إنجليزية تقول إن بضعة نفر من العميان الهنود لم يكونوا رأوا فيلًا من قبل، وقفوا عند أحد الفيلة يوما وأرادوا وصفه واستجلاء كنهه، فقال الأول:

-ياله من جدار ضخم، هذا الفيل...

فقال الثاني وكان يتلمس إحدى أرجله:

- بل إنه اسطوانة ضخمة كأنه عمود أحد المعابد، فيما أرى...» (جاسم ، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٨)

ثم يقول بعد ذلك: «وكذلك أحذرك يا عزيزي، من أن تصدر حكمًا موضوعيًا وتطلق عليه صفة العموم فيما يخص إيران « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٨) فنلحظ أن الشماسي بأسلوب أدبي بلاغي تمكن من ايصال المعنى الى المتلقي والتأثير به.

وجاءت حسن الخاتمة عنده فيها خلاصة الفكرة وجاءت بنصيحة عامة في التأكيد على المحبة والتسامح بين الشعبين الجارين يقول: « إذا كنت قد فعلت، فأنك تكون قد انسجمت، وهذا الإيراني جارك الشرقي، في وئام وانسجام ينموان على الايام، وتكون قد تعرفت عليه، وبالتالي تكونان معا، قد أديتما واجبكما نحو هذا الشرق الذي لا ينفك يصارع الجهل والفقر والمرض والخرافة ويتطاول ليحيا « (جاسم مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٥٦):

الاستفهام

من الأساليب البلاغية التي ضمنها الكاتب في نصه هو الاستفهام الاخباري وهو « الذي يخرج فيه الاستفهام الى أمر مجازي وهو الاخبار» (ينظر: مطلوب والبصير، البلاغة والتطبيق ٢٠٠٩: ١٣٧) واسلوب الكاتب أكثره بني على الاستفهام ونجده شكّل سمة مائزة في النص ومنها قوله: « تسألني عن مدنية الشعب الإيراني ؟؟ ولعلك لا تقصد بنايات وزارة العدلية التي تطل على أربعة شوارع...» (جاسم، مع الشعب الإيراني ١٩٥٦:١٦) وقوله: « فماذا تسمي هذا ؟؟؟ وإلّا فما هذه المفارقات ؟ما هذه العجائب ؟» (جاسم، مع الشعب الإيراني ١٩٥٦،١٥) وقوله:» ومن الغرور القومي الفكه، أنك تستمع كل يوم في الباص والشارع والفندق والسوق، الى مثل هذه العبارات التالية:

-قل لي هل طهران أفضل أو بغداد ؟

- هل لديكم شارع فسيح في بغداد، كهذا « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:٣٥ و:١٨،١٩)

التكرار

وهو» ذكر الشيء مرتين أو اكثر باللفظ نفسه للتأكيد على تمكين المعنى في النفس» (باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، ٢٠٠٨: ١٧١) ومنها قوله مصورًا الجهل في المجتمع الإيراني فيكرر عبارة وبسبب من هذا الجهل فيقول: « وبسبب من هذا الجهل تتجمع على عراف الجامع نساء المحلة تتطلب الدواء...وبسبب من هذا الجهل يغرق كل يوم عشرات الاطفال في احواض المنازل... وبسبب من هذا الجهل ايضا يبلغ التزمت والمغالاة حدًا يمهد السبيل الى ظهور أفكار مغالية...» (جاسم، مع الشعب الإيراني ١٩٥٦:٢٥)وفي موضع آخر يكرر عبارة ومن الرقة الإيرانية يقول: « ومن الرقة الإيرانية أنك تجد اشعار الخيام على آنية الشراب... ومن الرقة الإيرانية أنك تستيقظ في الصباح فتجد فوق حشية فراشك شعرا... ومن الرقة الإيرانية أن الجسم اللدن لا ينام على العادي من الفراش الذي لم تطعمه عبقريات حافظ شيرازي... ومن الرقة الإيرانية أنك لن تزور إيران، الا وستزورها مرة واثنتين وثلاثا...» (جاسم، مع الشعب الإيراني ١٩٥٦:٤٥ و،٤٦).

التشبيه

ونلاحظ أن الصور التشبيهية حاضرة في رحلته، ويعرّف التشبيه بأنه:» بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو اكثر « (عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ١٩٨٥. ٦٤) فيصف الإيرانيين بالغموض فيقول:» إنك ستجد نفسك وسط لبد من الغيوم التي تقبل فتسد السماء في كانون « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦: ١٣)ففي هذا التشبيه جعل الأديب صورة الإيرانيين جلية واضحة، فهم غامضون ومن الصعب فهمهم والتعامل معهم. وفي ذلك يروي الشماسي حادثة: « دعانا تاجر همداني مرة الى العشاء في قصره الصيفي، ولقد تأخر علينا في جنب من الحديقة وهو يصلي ويبتهل ويعقب على الصلاة بما أعرف وما لا أعرف من اوراد وأدعية، حتى إذا انتهى، دعا بالشراب وكاساته، والشطرنج وآلاته، والنرد وأدواته، وتطفلت فسألته، بعد أن صخنت الرؤوس عن مفهوم هذا ومفهوم ذاك - فقال:

- لكل مقام مقال، هذا لربي وهذا لقلبي « (جاسم، مع الشعب الإيراني،١٩٥٦:١٣)

الحوار

اشتمل الكتاب على سرد أحداث شاهدها الشماسي فجاء الحوار في أغلب بنية النصوص، فهو من أهم مكونات النص السردي؛ لأنه « صورة الكلام المتبادل بين طرفين » (حفني، أسلوب المحاورة في القران الكريم،١١:٢٠٠٠) فعندما يكون الحوار محادثة بين اثنين أو أكثر عن طريق المناوبة في الكلام فتتوضح الأفكار ويعرف الموضوع من خلال الحوار (التونجي، المعجم المفصل في الادب ،١٩٩٩: ١: ٣٨٥)، فالحوار يؤدي دورا مهما؛ فهو تعبير عن نفس قائله ويستطيع أن يعطي بعدا نفسيا لما فيه من العفوية بالتعبير ومن أمثلة الحوار قول الشماسي: «قال لي إيراني مرة راني ادفع فيها فلسين أكثر مما ينبغي للصبي الذي يقوم بجمع أجرة الباص في شارع من شوارع طهران:

– لماذا تعطيه أكثر مما يستحق ؟؟

فقلت: وما عساها تكون ؟ انها فلسان تزيد

فقال: إنها من حيث الكمية كما تقول، ولكنني اعترض عليها من حيث الكيفية، أنني اعترض على هذا التسامح الفردي... » (جاسم، مع الشعب الإيراني،٤٧:١٩٥٦-٤٨)

المفارقة

وتعني المفارقة: «هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر » (العبد، المفارقة القرانية،٧١:١٩٩٤) (يصور الاديب التناقض بين الشعب الإيراني المنتج حتى في سفره، والعراقي المستهلك حين يقول: « سألني إيراني يوما بأدب:

– قل لي يا سيدي، كم أستطيع ان اكسب في اليوم إذا جئت الى بغداد ؟

– فسألته:

– هل تريد ان تسكن في بغداد ؟

– كلا، ولكنني أريد أن اشتغل اثناء زيارتي.

في حين يتساءل اصدقائي العراقيون:

– قل لنا يا فلان، كم يكفينا أن نصرف يوميا في طهران؟؟ اترى؟ هذا هو الفرق بين الاستهلاك والانتاج، فنحن شعب استهلاكي في حين أنهم انتاجيون »

الطرفة الأدبية

وتعرّف الطرفة بأنها: «الخبر الطريف أو القصة المستملحة التي تثير في السامع أو القارئ عجبا أو دهشة أو ضحكا وغايتها الاستمتاع أو النقد والسخرية والوعظ والإصلاح » (جلولي، اليات تشكيل النادرة الهزلية في النص المغربي القديم (جمع الجواهر أنموذجاً)، ٢٧:٢٠١٦» وفيه يروي عما سمعه من الإيرانيين في حفل تخرج احدى الكليات: «ينوي علماء التاريخ الطبيعي أن يتوصلوا عن طريق تحسين النسل الى نتاج نوع خاص من الدجاج بغير عظم، أما علماء الزراعة فيرجون أن ينتجوا نوعا من الخوخ بلا نواة، في حين يعمل رجال الاستعمار دائما على انتاج نوع من الرجال بلا مخ...» (جاسم، مع الشعب الإيراني،٤٤:١٩٥٦) والطرفة تمثل بلاغة

النص الجمالية التي تتجسد في آليات الهزل واضحاك المتلقي لما له من أثر في المتعة الأدبية والاقناع (بوساحة، بلاغة الطرفة، ٣٠٨،٣٠٤:٢٠٢٢) .

ومن هذا يتضح لنا عمق التجربة الأدبية في هذه الرحلة الإبداعية الذي شارك فيه الأديب أفكاره ومشاهداته وكأنّها مشاهد حية أمام أنظار المتلقين.

الخاتمة

١. تبين للباحث أهمية أدب الرحلات؛ فهو صورة المجتمعات وأداة التواصل بينهم وتبادل الثقافات وان الاديب مهدي جاسم الشماسي جدير بالدراسة؛ لما انمازت به نصوصه الادبية من امكانات فنية متميزة.

٢. حفل كتابه (مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل) بتصوير حياة المجتمع الإيراني بمختلف طبقاته وجوانب الحياة الاجتماعية والصحية والاقتصادية والجغرافية.

٣. عني الكاتب بتصوير الجانب الثقافي للشعب الإيراني وأوضح عناية الإيرانيين بالصحافة وكانت إيران تصرف مليون طن من الورق سنويا وتمثل صحافتهم في طليعة الصحافة الشرقية وأشار الى

٤. -كثرة المكتبات في إيران وما فيها من المخطوطات الاسلامية، وأدب الترجمة ولاسيما عن الفرنسية وراج فن الشعر عندهم حتى نقشت رباعيات الخيام على اواني الشراب.

٥. كانت لغة الكاتب سهلة، وأسلوبه ممتع لا يملّ منه القارئ ولا يخلو من روح الطرفة والفكاهة، وعني باختيار عنوانات لكل جزء من الكتاب معبرًا عن المضمون بأسلوب أدبي رفيع فضلا عن الصور التشبيهية التي وظّفها على قلتها.

٦. حققت الأساليب الفنية التي أوردها الكاتب في النصوص كالتكرار والحوار والطرفة والمفارقة، جانبا جمالياً فضلا عن الجانب المعرفي في إيصال الفكرة للمتلقي وهذا التناغم الجمالي والمعرفي أسهم في امتاع المتلقي بما تدخله في النفس من الدهشة والسرور.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن الاثير، ضياء الدين،(ت ٦٣٧ه) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر تح كامل محمد عويضة،ط ١ دار الكتب العلمية بيروت. ١٩٩٨

٢.باطاهر، بن عيسى، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ط١، دار الكتاب جديد. ٢٠٠٨)

٣.التونجي، د.محمد، المعجم المفصل في الأدب، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٩ .

٤.جاسم، مهدي،،مع الشعب الإيراني دراسة وتحليل ط١، مطبعة دار المعرفة،بغداد.١٩٥٦

٥.الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، ط١، دار الكتب العلمية. ٢٠٠٣

٦. حفني، عبد الكريم، أسلوب المحاورة في القران الكريم،ط٣، دار الأمان، الرباط. ٢٠٠٠

٧.الحلي، عبود جودي، الأدب العربي في كربلاء اتجاهاته وخصائصه الفنية من اعلان الدستور العثماني الى ثورة تموز ١٩٥٨، ط٣، مطبعة العالمية الحديثة، دار التوحيد للنشر. ٢٠١٨

٨. خليل، د عماد الدين، من ادب الرحلات، (د.ط) دار ابن كثير.٢٠٠٥

٩. العبد، محمد، المفارقة القرآنية، ط١، دار الفكر العربي. ١٩٩٤

١٠.عتيق، الدكتور عبد العزيز، في البلاغة العربية علم البيان، (د.ط) دار النهضة العربية بيروت.١٩٨٥

١١.علي، د جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط٢،ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٩٣

١٢.قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، ط٢ مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة.٢٠٠٢

١٣. الكرباسي، موسى إبراهيم، البيوتات الأدبية في كربلاء، ط١ مركز كربلاء للدراسات والبحوث.٢٠٠٥

١٤.مطلوب والبصير، د احمد، د كامل حسن، البلاغة والتطبيق، (د. ط) مطابع بيروت الحديثة.٢٠٠٩.

١٥. يعقوب وعاصي، د اميل ود ميشال، المعجم المفصل في اللغة والادب،ط١، دار العلم للملايين بيروت، لبنان. ١٩٨٧.

المجلات:

١. بوساحة، خديجة، بلاغة الطرفة، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد ٦، ٢٠٢٢.

٢. جلولي، قحمص العيد، آليات تشكيل النادرة الهزلية في النص المغربي القديم (جمع الجواهر أنموذجا)، مجلة الأثر، جامعة مرباح قاصدي، ورقلة العدد ٢٧ ديسمبر.٢٠١٦

٣.رحيم، عبد القادر، العنوان في النص الإبداعي أهميته وانواعه، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر.٢٠٠٨.